

يا خليفة الأموات
اذكر
هادم اللذات

يا بن آدم

يا مدبر العمر، يا صريع الدهر، أيها الساكن مساكن الموتى أيها المؤمِّل ما لا يُدرك. السالك سبيل من قد هلك، يا غرض الأسقام... يا رهينة الأيام... يا رمِيَّة المصائب يا عبد الدنيا، وتاجر الغُرور... يا غريم المنايا وأسير الموت... يا حليف الهموم وقرين الأحزان، يا نهب الآفات، يا صريع الشهوات وخليفة الأموات، يا ابن التراب ومأكول التراب غدًا ذلِّلْ قلبك بذكر الموت.

ذكره بما أصاب من كان قبلك من الأولين، وسِرْ في ديارهم وآثارهم، وانظر فيما فعلوا، وعما انتقلوا، وأين حلوا ونزلوا، فإنك تجدهم قد انتقلوا عن الأحبة، وحلوا ديار الغربة، وكأنك عن قليل قد صرت كأحدهم، فأصلح مثواك، ولا تبع آخرتك بدنياك.

«**أعجب العجائب:** سرورك بغرورك، وسَهْوك في لهْوك عما قد خُبِئ لك! لقد أراك مصرع غيرك مصرعَك، وأبدى مضجع سواك قبل الممات مضجعك! وقد شغلك نيل لذاتك عن خراب ذاتك.

كأنك لم تسمع بأخبار من مضى ... ولم تر في الباقين ما يصنعُ الدهرُ
فإن كنت لا تدري فتلك ديارهم ... محاها مجالُ الريح بعدك والقبرُ

● فيا من كل لحظةٍ إلى هذا يسري، وفعله فعلُ من لا يفهم ولا يدري»[1] اذكر:

---

(١) «صيد الخاطر» لابن الجوزي ص(٤٠) تحقيق عامر بن علي ـ دار ابن خزيمة.

* **الـموت:**

هـادم الـلـذات، مفرق الجماعـات، مباعد الطيّات، ومكـدّر الشهوات، مسكت النجيّ مُفرّق النَدِيّ، مُعفّي الآثار، مخرب الدِّيار، زائر غير محبوب، وواتر غيـر مطلوب، عظـمت سطوته، وتتـابعت علينـا عَدْوتُه، وقلّـتْ عنا نبْوته.

إن غاية تنقصهـا اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بـقصر المدة، وإن غائبًا يحدوه الجديدان: الليل والنهار لحري بسرعة الأوبة، وإن قادمًا يقدم بالفوز أو الشقوة لمستحق لأفضل العدة.

فيا لها حسرة على ذي غفلة أن يكـون عمره عليه حجة، وأن تؤديه أيامُه إلى شِقْوة.

● أيها السادرون المخمـورون الغافلون، أيها اللاهون المتـكاثرون بالأموال والأولاد وأعراض الحياة وأنتم مفارقون يا مـن ضلّوا في متاهة الأمل والغرور تنبهوا. . . أفيقوا واذكروا الموت.

● **المـوت:** الذي ينتهي إليه كل حي، والـذي لا يدفعه عن نفسه ولا عن غيره حي،

● **المـوت:** الذي يفرّق بـين الأحبة، ويمضي في طريقـه لا يتوقف، ولا يتلفت، ولا يستجيب لصرخة ملهوف، ولا لحسرة مفارق، ولا لرغبة راغب، ولا لخوف خائف.

قال تـعالـى: ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.

● كل نفس تذوق هذه الجرعة، وتفارق هذه الحياة، لا فارق بين نفس ونفس في تذوق هذه الجرعة من هذه الكأس الدائرة على الجميع، يموت الصالحون ويموت الطالحون، يموت الجبابرة ويصرع الأقزام.

يقهر الموت المتسلّطين كما يقهر المستضعفين.

يموت المستعلون بالعقيدة ويموت المستذلون للعبيد، يموت ذووا الاهتمامات الكبيرة والأهداف العالية، ويموت التافهون الذين يعيشون فقط للمتاع الرخيص.. الكل يموت.

● يموت كل أمير ووزير، يموت كل عزيز وحقير، يموت كل غني وفقير، يموت كل نبي وولي، يموت كل نجي وتقيّ، يموت كل زاهد وعابد، يموت كل مقرّ وجاحد، يموت كل صحيح وسقيم، يموت كل مريض وسليم، كل نفس تموت غير ذي العزة والجبروت.

أمتنا آخر الأمم ورسولنا ﷺ آخر الرسل وقد أُسرع بخيارنا فما ننتظر إلا المعاينة.

● **الموت:** أول وارد علينا من ربنا فيا إخوتاه سيروا إلى ربكم سيراً جميلاً.

● **الموت:** قد أفسد على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيمًا لا موت فيه.

● الموت: اجعله منك على بال وتذكر مقالة الربيع بن خثيم: «لو غفل قلبي عن ذكر الموت ساعة واحدة لفسد قلبي».

● **الموت:** أكبر واعظ، ومن لم يتعظ بالموت ولا بالقرآن فلو تناطحت

الجبال ما بين يديه ما اتعظ.

* **الموت حتم لازم**، لا تمنع منه حصانة القلاع ولا يحول دونه الحجاب ولا ترده الأبواب قال تعالى:

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨].

وقال تعالى: **﴿الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾** [آل عمران: ١٦٨].

وقال تعالى: **﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** [الجمعة: ٨].

* **الموت السرّ الخافي وراء الستر المسبل:**

الموت والحياة آيتان تلمسان قلب الإنسان بشدة وعمق، أمران معروفان كل المعرفة، ولكنهما خافيان كل الخفاء حين يحاول البشر أن يعرفوا طبيعتهما وسرهما الخافي على الأحياء.

فما الموت؟ وما الحياة؟ ما حقيقتهما حين يتجاوز الإنسان لفظهما وشكلهما الذي يراه؟ كيف دبّت الحياة في الكائن الحي؟، وما الموت؟ وكيف كان؟ قبل دبيب الحياة.. وبعد مفارقتهما للأحياء؟ إنه السر الخافي وراء الستر المسبل بيد الله!

تنبثق ملايين الصور من الموت والحياة. في عوالم الأحياء كلها. في اللحظة الواحدة. في هذه اللحظة كم من ملايين الملايين من الأحياء ماتت. وكم من ملايين الملايين بدأت رحلة الحياة ودبّ فيها هذا السر من حيث لا

تعلم وحيث لا يعلم أحد إلا اللَّه! وكم من ميتات وقعت فإذا هي ذاتها بواعث حياة! وكم من الصور يتراءى على مدى القرون، حين يستغرق الخيال في استعراض الماضي الطويل الذي كان قبل أن يكون الإنسان على هذا الكوكب وندع ما يعلمه اللَّه في غير هذا الكوكب من أنواع الموت والحياة التي لا تخطر على بال إنسان!

*** يقظة القلب باليقين بالموت:**

اليقين بالموت هو الضمان ليقظة القلب وتطلعه إلى ما عند اللَّه واستعلائه على أوهاق الأرض، وترفّعه على متاع الدنيا.

حين تستقر حقيقة الأجل ﴿**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً**﴾ تنطلق من عقال الشح والحرص، كما ترتفع عن وهلة الخوف والفزع.

● ثم خطوة وراء ذلك، فإنه إذا كان العمر مكتوبًا والأجل مرسومًا فلتنظر نفس ما قدمت لغد، ولتنظر نفس ماذا تريد، أتريد أن تقعد عن تكاليف الإيمان، وأن تحصر همها كله في الأرض، وأن تعيش لهذه الدنيا وحدها؟ أم تريد أن تتطلع إلى أفق أعلى، وإلى اهتمامات أرفع وإلى حياة أكبر من هذه الحياة؟ مع تساوي هذا الهم وذاك فيما يختص بالعمر والحياة؟

● الذي يعيش لهذه الأرض وحدها ويريد ثواب الدنيا وحدها، إنما يحيا حياة الديدان والدواب والأنعام! ثم يموت في موعده المضروب بأجله المكتوب والذي يتطلع إلى الأفق الآخر، إنما يحيا حياة الإنسان الذي كرمه اللَّه، ثم يموت في موعده المضروب بأجله المكتوب.. ﴿**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً**﴾.

* ﴿ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ :

الموت غيب لا يدري إنسان متى يدركه. فمن أراد ألا يموت إلاّ مسلمًا فسبيله أن يكون منذ اللحظة مسلمًا، وأن يكون في كل لحظة مسلمًا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ربي الذي يحيي ويميت﴾

اللَّه عز وجل هو المتفرد بالإحياء والإماتة، قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [غافر: ٦٨].

● وقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴾ [ق: ٤٣].

● وقال تعالى: ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

● وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴾ [الحجر: ٢٣].

● وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ [النجم: ٤٤].

● وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

● وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام: ٦١].

وهو المتفرّد بالبقاء قال تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ

ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٦ ـ ٢٧].

قال تعالى: ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ** ﴾ وإماتة الأحياء وإحياء الموتى من خصائص الربوبية لا ينازع فيها إلا طاغوت قزم، قال تعالى: ﴿ **وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا** ﴾ [الفرقان: ٣] وهذا المفتري الذي قال: ﴿ **أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ** ﴾ كان هلاكه ببعوضة دخلت منخريه...

• قهر اللَّه عز وجل المتكبرين بالموت ولولا ذلك لادعوا ما ادعوا، وعظم عند الناس شأن الموت، قال تعالى: ﴿ **أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ** ﴾: هو الموت.

بل قهرهم بدون ذلك، قال أبو جعفر المنصور لزاهد: لم خلق اللَّه الذباب، قال: ليذل به أعناق الجبابرة.

يا بن التراب ومأكول التراب غدا قصّرْ فإنك مأكول ومشروبُ

النهي عن تمني الموت

• قال رسول اللَّه ﷺ: «**لن يُدخل أحدًا عمله الجنة ولا أنا، إلا أن يتغمدني اللَّه بفضل رحمته فسددوا وقاربوا، ولا يتمنى أحدكم الموت، إما محسن، فلعلّه يزداد خيراً، وإما مسيء، فلعله أن يُستَعتب**[١] »[٢] .

• وقال ﷺ: «**لا تدعوا بالموت، ولا تتمنوه، فمن كان داعيًا لا بد فليقل: اللَّهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي**»[٣] .

---

(١) أي: يرجع عن الإساءة.

(٢) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

(٣) رواه النسائي عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٢٦٥).

وفي رواية: «**لا يتمنين أحدكم الموت**».

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**لا يتمنى أحدكم الموت، إما محسنًا، فلعله يزداد، وإما مسيئًا فلعله يستعتب**»(١).

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**لا يتمنين أحدكم الموت لضرّ نزل به، فإن كان لا بد متمنيًا، فليقل: اللَّهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي**»(٢).

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**لا يتمنين أحدكم الموت، ولا يدعُ به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيرًا**»(٣).

● قال النووي في «شرح مسلم» (٥/ ٥٣٧):

«فيه التصريح بكراهة تمني الموت لضرّ نزل به من مرض أو فاقة أو محنة من عدو أو نحو ذلك من مشاق الدنيا، فأما إذا خاف ضررًا في دينه، أو فتنة فيه، فلا كراهة فيه؛ لمفهوم هذا الحديث وغيره، وقد فعل هذا الثاني خلائق من السلف عند خوف الفتنة في أديانهم.

وفيه: أنه إن خالف ولم يصبر على حاله في بلواه بالمرض ونحوه فليقل: اللَّهم أحيني إن كانت الحياة خيرًا... إلخ، والأفضل الصبر والسكون للقضاء».

● قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/ ١٣٣ ـ ١٣٤):

«لا يتمنّين... أنه إذا حلّ به ـ أي الموت ـ لا يمنع من تمنيه رضًا

---

(١) رواه أحمد، والبخاري، والنسائي عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، وأصحاب السنن الأربعة عن أنس.

(٣) رواه أحمد، ومسلم عن أبي هريرة.

بلقاء اللَّه ولا من طلبه من اللَّه لذلك وهو كذلك، ولهذه النكتة عقّب البخاري حديث أبي هريرة بحديث عائشة: «**اللَّهم اغفر لي، وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى**» إشارة إلى أن النهي مختص بالحالة التي قبل نزول الموت، فللَّه دره ما كان أكثر استحضاره وإيثاره للأخفى على الأجلى شحذًا للأذهان. وقد خفي صنيعه هذا على من جعل حديث عائشة في الباب(١) معارضًا لأحاديث الباب، أو ناسخًا لها، وقوّى ذلك بقول يوسف عليه السلام: ﴿**تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾، قال ابن التين: «قيل إن النهي منسوخ بقول يوسف... فذكره، وبقول سليمان: ﴿**وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**﴾، وبحديث عائشة في الباب، وبدعاء عمر بالموت وغيره. قال: وليس الأمر كذلك؛ لأن هؤلاء إنما سألوا لما قارب الموت.

● **قلت**: وقد اختُلف في مراد يوسف عليه السلام، فقال قتادة: لم يتمنّ الموت أحد إلا يوسف حين تكاملت عليه النعم، وجُمع له الشمل اشتاق إلى لقاء اللَّه، أخرجه الطبراني بسند صحيح عنه. وقال غيره: بل مراده توفني مسلمًا عند حضور أجلي. كذا أخرجه ابن أبي حاتم عن الضحاك بن مزاحم، وكذلك مراد سليمان عليه السلام.

وعلى تقدير الحمل على قول قتادة فهو ليس من شرعنا، وإنما يُؤخذ بشرع من قبلنا ما لم يرد في شرعنا النهي عنه بالاتفاق، وقد استشكل الإذن في ذلك عند نزول الموت؛ لأن نزول الموت لا يتحقق، فكم من انتهى إلى غاية جرت العادة بموت من يصل إليها ثم عاش. والجواب أنه يحتمل أن يكون المراد أن العبد يكون حاله في ذلك الوقت

---

(١) باب تمني المريض الموت.

حال من يتمن نزوله به ويرضاه أن لو وقع به، والمعنى أن يطمئن قلبه إلى ما يرد عليه من ربه ويرضى به ولا يقلق، ولو لم يتفق أنه يموت في ذلك المرض». ا.هـ.

• قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في يوم الجمل: ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة[١] .

• وعن عُبيدة بن عبد اللَّه بن مسعود قال: مرّ سليمان بن صُرَد بأمي، فطلب ماء ليتوضأ به، فأتته الجارية بماء، فمروا برجل مجلود يقول: أنا واللَّه مظلوم.

فقال: يا هذه، لمثل هذا كان زوجك[٢] يتمنى الموت[٣] .

• وقال عمرو بن مرة الهمداني: تمنّى عبد اللَّه لأهله ولنفسه الموت، فقيل له: تمنيت لأهلك، فلم تمنيت لنفسك؟ فقال: لو أني أعلم أنكم تبقون على حالكم هذه لتمنيت أن أعيش. فذكر عشرين سنة[٤] .

• وتمنى عطاء السلمي الموت، وقال: إنما يريد الحياة من يزداد خيراً، فأما من يزداد شراً فما يصنع بالحياة[٥] .

• وكان أبو رجاء العطاردي يقول: لأنا إلى مَن في بطنها أشوق مني إلى مَن في ظهرها[٦] .

---

(١) «كتاب المتمنين» لابن أبي الدنيا ص(٦٢).

(٢) يعني: عبد اللَّه بن مسعود.

(٣، ٤) «كتاب المتمنين» ص(٨٣).

(٥) المصدر السابق ص(٦٩).

(٦) المصدر السابق ص(٨٤).

● وقال الثوري: كان من دعائي أن لا أموت فجأة، فأما اليوم فوددت أنه قد كان[١] .

وكان ـ رحمه اللَّه ـ إذا اغتمّ رمى بنفسه عند وهيب بن الورد، فقال له: يا أبا أمية، أتدري أحدًا يتمنى الموت؟ قال وهيب: أما أنا فلا! قال له سفيان: أما أنا فواللَّه لوددت أني مت، وواللَّه لوددت أني مت. قالها ثلاثًا[٢] .

وعن أبي مهلهل سعيد بن صدقة قال: أخذ بيدي سفيان الثوري يومًا فأخرجني إلى الجبّان، فاعتزلنا ناحية من طريق الناس، فبكى ثم قال: يا أبا مهلهل، وددت أني لم أكن كتبت من هذا العلم حرفًا واحدًا إلا ما لا بد للرجل منه.

قال: ثم بكى، ثم قال: يا أبا مهلهل، قد كنت قبل اليوم أكره الموت، فقلبي اليوم يتمنى الموت، وإن لم ينطق به لساني. قلت: ولم ذاك؟ قال: لتغيّر الناس وفسادهم[٣] .

● وعن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «**والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يمرّ الرجل على القبر فيتمرّغ عليه ويقول: يا ليتني كنتُ مكان صاحب هذا القبر، وليس به الدِّين إلا البلاء**».

● قال أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٤):

كان العرباض بن سارية ﷺ يقول وقد كبرت سنّه: اللَّهم كبرت سنّي، ووهن عظمي فاقبضني إليك.

(١) «كتاب المتمنين» ص(٨٤).
(٢) «كتاب المتمنين» ص(٧٣).
(٣) المصدر السابق ص(٦٤).

وقال أيضًا في «الحلية» (٢/ ٣٩):

«قال الزبير بن بكار: حدثني محمد بن الحسن أنه لمَّا نزل القوم بالحسين رضي الله عنه وأيقن أنهم قاتلوه قام في أصحابه خطيبًا، فحمد اللَّه وأثنى عليه، ثم قال: «قدْ نزلَ من الأمرِ ما ترون، وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت، وأدبرَ معروفها، وانشَمَرتَ حتى لم يبق منها إلا كصبابة الإناء، إلا خسيسُ عيش كالمرعَى الوبيل. ألا ترون الحق لا يُعمل به، والباطل لا يُتناهَى عنه، ليرْغَبِ المؤمنُ في لقاءِ اللَّه، وإني لا أرى الموت إلا سعادةً، ولا الحياة مع الظالمين إلا جُرمًا». ا.هـ.

*** تمنّي الموت يقع على وجوه:**

● **منها:** تمنّيه لضر دنيوي ينزل بالعبد فينهى حينئذ عن تمني الموت.

ووجه كراهيته في هذا الحال أن المتمني للموت لضر نزل به إنما يتمناه تعجيلاً للاستراحة من ضره وهو لا يدري إلى ما يصير بعد الموت فلعله يصير إلى ضر أعظم من ضره فيكون كالمستجير من الرمضاء بالنار. وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إنما يستريح مَن غُفِر له**»، فلهذا لا ينبغي له أن يدعو بالموت إلاّ أن يشترط أن يكون خيرًا له عند اللَّه عز وجل.

● **ومنها:** تمنيه خوف الفتنة في الدين فيجوز حينئذ. وقد تمنّاه ودعا به خشية فتنة الدين خلق من الصحابة وأئمة الإسلام وفي حديث المنام: «**وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون**».

*** تمنّي الموت عند حضور أسباب الشهادة:**

فيجوز ذلك أيضًا، وسؤال الصحابة الشهادة وتعرضهم لها عند حضور الجهاد كثير مشهور، وكذلك سؤال معاذ لنفسه وأهل بيته الطاعون لمّا وقع

* **ومنها تمني الموت لمن وثق بعمله شوقًا إلى لقاء اللَّه عز وجل:**

فهذا يجوز أيضًا وقد فعله كثير من السلف.

• قال أبو الدرداء: أحب الموت اشتياقًا إلى ربي. وقال عنبسة الخولاني: كان من قبلكم لقاء اللَّه أحب إليه من الشهد. وقال بعضهم: طال شوقي إليك فعجّل قدومي عليك. وقال بعضهم: لا تطيب نفسي بالموت إلا إذا ذكرت لقاء اللَّه عز وجل فإنني حينئذ أشتاق إلى الموت كشوق الظمآن الشديد ظمؤه في اليوم الحار الشديد حره إلى الماء البارد الشديد برده. وفي هذا يقول بعضهم:

أشتاق إليك يا قريبًا نائي   شوق ظمأ إلى زلال الماء

وقد دل على جواز ذلك قول اللَّه عز وجل: ﴿**قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [البقرة: ٩٤]، قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [الجمعة: ٦] فدلّ ذلك على أن أولياء اللَّه لا يكرهون الموت بل يتمنونه، ثم أخبر أنهم: ﴿**وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ**﴾ فدل على: أنه إنما يكره الموت من له ذنوب يخاف القدوم عليها، كما قال بعض السلف: ما يكره الموت إلا مريب. وفي حديث عمار بن ياسر عن النبي ﷺ: «**أسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة**»، فالشوق إلى لقاء اللَّه تعالى إنما يكون بمحبة الموت، وذلك لا يقع غالبًا إلا عند خوف ضرّاء مضرة في الدنيا أو فتنة مضلة في الدين، فأما إذا خلا عن ذلك كان شوقًا إلى لقاء اللَّه عز وجل. وهو المسئول في هذا الحديث فالمطيع للَّه مستأنس بربه، فهو يحب

لقاء اللَّـه، واللَّه يحب لقـاءه، والعاصي مستـوحش بينه وبين مـولاه وحشة الذنوب، فهو يكره لقاء ربه ولا بد له منه.

وقال ذو النون: كل مـطيع مستأنس وكل عاص مسـتوحش»، وفي هذا يقول بعضهم:

أمسـتوحـش أنـت مما جـنـيـت فـأحـسـن إذا شـئـت واسـتـأنـس

قال أبو بكـر الصديق لعمر رضي الله عنهما فـي وصيته له عند المـوت: إن حفظت وصيتي لم يكن غائب أحب إليك من الموت ولا بد منه، وإن ضيّعتها لم يكن غائب أكره إليك من الموت ولن تعجزه.

قال أبو حازم: كل عمل تكره الموت من أجـله فاتركه ثم لا يضرّك متى مِت.

سُئل أبو حازم: كيف القدوم على اللَّـه؟ قال: أما المطيع فكقدوم الغائب على أهله المشتاقين إليه، وأما العاصي فكقدوم الآبق على سيده الغضبان.

وقد صـمت عن لذات دهري كـلها ويوم لقـاكم ذاك فطر صيـامي

● **ومنـها:** تمنى الموت على غير الوجوه المتقـدمة. فقد اختلف العلماء في كراهيـته واستحبابـه، وقد رخّص فيه جمـاعة من السلف، وكـرهه آخرون، وحكى بعض أصحابنا عن أحمـد في ذلك روايتين ولا يصح، فإن أحمد إنما نص على كراهة تمنـي الموت لضرر الدنيا، وعلى جواز تمنيه خشـية الفتنة في الدين.

واستدل مـن كرهه بعمـوم النهي عنـه كما في حـديث جابر عن الـنبي ﷺ: **«لا تتمـنوا الموت فإن هو المـطلع شديد، وإن مـن السعادة أن يطـول عمر العبد ويرزقه اللَّه الإنابة»**.

وقد علل النهي عن تمني الموت في حديث جابر بعلتين:

● **إحداهما**: أن هول المطلع شديد، وهول المطلع: هو ما يكشف للميت عند حضور الموت من الأهوال التي لا عهد لـه بشيء منها في الدنيا من رؤية الملائكة، ورؤية أعمـاله من خير أو شر، وما يبشر به عـند ذلك من الجنة أو النار. هذا مع ما يلقاه من شدة الموت وكربه وغصصه.

قال الحسن: لو عـلم ابن آدم أن له في الموت راحة وفرحًا لـشقّ عليه أن يأتيه الموت لما يعلم من فظاعته وشـدته وهوله، فيكف وهو لا يعلم ما له في الموت نعيم دائم، أو عذاب مقيم.

فالمتمني للموت كأنه يستعجل حلول البلاء، وإنما أمرنا بسؤال العافية.

● **والعلة الـثانية**: أن المؤمن لا يزيد عمره إلا خيـرًا فمن سعادته أن يطول عمره ويرزقه اللَّه الإنابة إليه.

● واختلف السالـكون أيما أفضل، مَن تمنّي الموت شوقًـا إلى لقاء اللَّه أو مَن تمـنى الحيـاة رغبة فـي طاعة اللَّـه؟ أو مَن فوّض الأمـر إلى اللَّـه ورضي باختياره ولم يختر لنفسه شيئًا.

● فذهب قوم إلى تفضيل الموت على الحـياة واستدل طائفة من الصحابة بقول اللَّه عز وجل: ﴿ **وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ** ﴾.

● ولكن الأحاديث الصـحيحة تدل على أن عمر المؤمـن كلما طال ازداد بذلك ما له عند اللَّه من خير، فلا ينبغي له أن يتمنى انقطاع ذلك، اللَّهم إلا أن يخشى الفتنة على دينه، فإنه إذا خشي الفتنة على دينه فقد خشي أن يفوته ما عند اللَّه من خير، والموت خير له على هذه الحال.

قال ميمـون بن مهران: لا خير في الحـياة إلا لتائب أو رجل يـعمل في الدرجات.

● عن أبي سلمة، عن طلحة بن عبيد الله أن رجلين من بلَيٍّ قدما على رسول الله ﷺ وكان إسلامهما جميعًا، فكان أحدهما أشد اجتهادًا من الآخر، فغز المجتهد منهما فاستشهد ثم مكث الآخر بعده سنة ثم توفي.

قال طلحة: فرأيت في المنام: بينا أنا عند باب الجنة، إذا أنا بهما، فخرج خارج من الجنة فأذن للذي توفي الآخر منهما، ثم خرج فأذن للذي استشهد، ثم رجع إليّ فقال: ارجع فإنك لم يأن لك بعد.

فأصبح طلحة يحدث الناس فعجبوا لذلك فبلغ ذلك رسول الله ﷺ وحدثوه الحديث: فقال: «**من أي ذلك تعجبون؟**» فقالوا: يا رسول هذا كان أشد الرجلين اجتهادًا ثم استشهد، ودخل هذا الآخر الجنة قبله، فقال رسول الله ﷺ: «**أليس قد مكث هذا بعده سنة؟**»، قالوا: بلى، قال: «**وأدرك رمضان فصام وصلى كذا وكذا من سجدة في السنة؟**»، قالوا: بلى، قال رسول الله ﷺ: «**فما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض**»[١].

● وقال رسول الله ﷺ: «**خير الناس من طال عمره، وحسن عمله**»[٢].

● وعن أبي بكرة رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير الناس من طال عمره وحسن عمله، وشر الناس، من طال عمره وساء عمله**»[٣].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد، وابن ماجه في «سننه» كتاب الرؤيا، باب تعبير الرؤيا، واللفظ له، وصححه الألباني، انظر: «صحيح سنن ابن ماجه» حديث رقم (٣١٧١) (٢/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد في «مسنده»، والترمذي عن عبد الله بن بسر، وصححه الألباني في «صيح الجامع» رقم (٣٢٩٦).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد في «مسنده»، والترمذي، والحاكم في «المستدرك» وصححه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٢٩٧).

● قيل لبعض السلف: طلب الموت؟، قال: لا تـفعل لساعة تعيش فيها تستغفر اللّـه خير لك من فوت الدهر. وقيل لشيخ كبـير منهم: تحب الموت؟ قال: لا، قيـل: ولم؟ قال: ذهب الشبـاب وشره، وجاء الكبـر وخيره، إذا قمتُ، قلت: بسم اللَّه، وإذا قعدت، قلـت: الحمد اللَّه، فأنا أحب أن يبقى لي هذا.

● «الموتـى في قبورهـم يتحـسرون على زيـادة في أعمـالهم بـتسبيـحة وبركعة. ومنهم من يسأل الرجعة إلى الدنيا لذلك، فلا يقدرون على ذلك قد حيل بينهم وبين العمل غلقت منهم الرهون.

ورؤي بعضهم في المنـام فقال: ندمنا على أمر عظيم، نـعلم ولا نعمل، وأنتم تعلمون ولا تعملون، واللَّه لتسـبيحة أو تسبيحتان، أو ركعة أو ركعتان في صحيفة أحدنا أحب إليه من الدنيا وما فيها.

قال بعض السلف: كل يوم يعيش فيه المؤمن غنيمة، وقال بعضهم: بقية عمر المؤمن لا قيمة له، يعني: أنه يمكنه أن يمحو فيه ما سلف منه من الذنوب بالتوبة وأن يـجتهد فيه في بلوغ الدرجـات العالية بالعمل الصـالح، فأما من فرّط في بقية عمره فإنه خاسر، فـإن ازداد فيه من الذنوب فذلك هو الخسران المبين. الأعمال بالخواتـيم، من أصلح فيما بقي غُفِر لـه ما مضى، ومن أساء فيما بقي أُخذ بما بقي وما مضى»[1] .

*** نعوذ باللَّه أن نُعَيّر بطول العمر:**

● قال تعالى: ﴿ **أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ** ﴾.

---

(١) «لطائف المعارف» لابن رجب ص(٣٢٨).

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**أعذر الله إلى امرئ أخَّرَ أجله حتى بلّغه ستين سنة**».

● قال ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري»: «باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر»: «قد اختلف أهل التفسير في ﴿النَّذِيرُ﴾ فالأكثر على أن المراد به الشيب، واختلفوا أيضًا في المراد بالتعمير في الآية على أقوال، وأصح الأقوال في ذلك ما ثبت في حديث الباب. . .

والإعذار إزالة العذر والمعنى أنه لم يبق له اعتذار، يُقَال: أعذر إليه ـ إذا بلّغه أقصى الغاية في العذر، ومكّنه منه. وإذا لم يكن له عذر في ترك الطاعة مع تمكنه منها بالعمر الذي حصل له فلا ينبغي له حينئذ إلا الاستغفار والطاعة والإقبال على الآخرة بالكلية»[١] .

● نعوذ بالله أن نُعيّر بطول العمر.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**إذا بلغ الرجل من أمتي ستين سنة، فقد أعذر الله إليه في العمر**»[٢] .

● وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**إذا بلّغ الله العبد ستين سنة فقد أعذر إليه، وأبلغ[٣] إليه في العمر**»[٤] .

● وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**لقد أعذر الله إلى عبد أحياه حتى بلغ ستين**

(١) «فتح الباري» (١١/ ٢٤٣، ٢٤٤).

(٢) **صحيح**: رواه الحاكم في «المستدرك» عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤١٤).

(٣) أي: أطاله حتى يقطع عذره.

(٤) **صحيح**: رواه عبد بن حميد عن سهل بن سعد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤١٥).

سنة أو سبعين سنة، لقد أعذر اللَّه إليه»[١] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك»[٢] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «أقل أمتي أبناء السبعين»[٣] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «أقل أمتي الذين يبلغون السبعين»[٤] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «من عُمِّر من أمتي سبعين سنة، فقد أعذر اللَّه إليه في العمر»[٥] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «من أتت عليه ستون سنة، فقد أعذر اللَّه إليه في العمر»[٦] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «معترك[٧] المنايا ما بين الستين إلى السبعين»[٨].

---

(١) صحيح: رواه الحاكم في «المستدرك» عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤١١٨).

(٢) صحيح: رواه الترمذي عن أبي هريرة، وأبو يعلى عن أنس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٠٧٣).

(٣) صحيح: رواه الحكيم عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١١٨٢).

(٤) حسن: رواه الطبراني عن ابن عمر، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١١٨٣).

(٥) صحيح: رواه الحاكم عن سهل بن سعد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٣٩٧).

(٦) صحيح: رواه أحمد عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٩٤٥).

(٧) أي: غالبًا ما تصرع المنايا الإنسان في هذه السن.

(٨) حسن: رواه الحكيم عن أبي هريرة، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٨٨١).

* **أخي:**

ما مضى من العمر وإن طالت أوقاته فقد ذهبت لذّاته وبقيت تبعاته، وكأنه لم يكن إذا جاء الموت وميقاته. قال اللَّه عز وجل: ﴿ **أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ** ﴾ [الشعراء: ٢٠٥ ـ ٢٠٧]، تلا بعض السلف هذه الآيات وبكى، وقال: إذا جاء الموت لم يغن عن المرء ما كان فيه من اللذة والنعيم.

- يا أبناء العشرين: كم مات من أقرانكم وتخلّفتم.
- ويا أبناء الثلاثين أصبتم بالشباب على قُربٍ من العهد فما تأسفتم.
- يا أبناء الأربعين ذهب الصبا وأنتم على اللهو قد عكفتم.
- يا أبناء الخمسين: أنتم زرع قد دنا حصاده، تنصفتم المائة وما أنصفتم.
- يا أبناء الستين: هلموا إلى الحساب، أنتم على معترك المنايا قد أشرفتم. أتلهون وتلعبون لقد أسرفتم.
- أبناء السبعين: ماذا قدمتم وما أخّرتم.
- أبناء الثمانين: لا عذر لكم.

قال مسروق: إذا أتتك الأربعون فخذ حذرك.

وقال النخعي: كان يقال لصاحب الأربعين: احتفظ بنفسك.

وكان كثير من السلف إذا بلغ الأربعين تفرّغ للعبادة.

وقال عمر بن عبد العزيز: تمّت حجة اللَّه على ابن الأربعين، فمات لها. ورأى في منامه قائلاً يقول له:

إذا ما أتتك الأربعون فعندها ... فاخش الإله وكن للموت حذّارا

● ورحم اللَّه من قال:

وإذا تكامل للفتى من عمره ... خمسون وهو إلى التُّقى لا يَجْنحُ
عكفت عليه المخزيات فما له ... متأخّر عنها ولا متزحزحُ
وإذا رأى الشيطان غرّة وجهه ... حيّا وقال: فديتُ من لا يفلحُ

قال الفضيل لرجل: كم أتى عليك؟ قال: ستون سنة. قال له: أنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك يوشك أن تصل[1].

*** يا خليفة الأموات:**

يا مَن يفرح بكثرة مرور السنين عليه إنما تفرح بنقص عمرك.

قال أبو الدرداء والحسن رضي الله عنهما: إنما أنت أيام كلما مضى منك يوم مضى بعضك.

إنا لنفرح بالأيام نقطعها ... وكل يوم مضى يُدني من الأجل
فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهدا ... فإنما الربح والخسران في العملِ

*** أخي:**

كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره، وشهره يهدم سنته، وسنته تهدم عمره؟ وعمره خطاه إلى قبره، كيف يفرح من يقوده عمره إلى أجله وحياته إلى موته؟.

*** ﴿ فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾ [مريم: ٨٤]:**

إن النفس قد يخرج ولا يعود، وإن العين قد تطرف ولا تطرف الأخرى إلا بين يدي اللَّه عز وجل.

---

(١) انظر: «لطائف المعارف» ص(٣٢٩، ٣٣٠).

﴿فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ :

«قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ قال: نعدّ أنفاسهم في الدنيا»[1] .

آخر العدد فراق روحك، آخر العدد ركوب نعشك، آخر العدد دخول قبرك، آخر العدد لقاء ربك.

* * *

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/١٣١).